رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 8- سورة يوسف | من الأية 56 إلى 67

عبدالرحمن العجلان

ونزداد كيل بعير. كان يوسف عليه الصلاة والسلام اذا جاءه يريد الطعام وان دفع الثمن من باب الحفاظ على المصلحة العامة لا يعطي الرجل اكثر من حمل واحد. لكل رجل حمل من الطعام فقط. لاجل ان تعم ولا يجعل - 00:00:00

رجل يأخذ الاحمال الكثيرة وربما ظر في الناس نفذ ما عند يوسف ثم ربما اغلى السعر او تحكم في الناس فيما يحتاجون اليه واحتكر الطعام الذي يريده الناس فهو عليه الصلاة والسلام - 00:00:40

اراد ان يكون هذا السعر عاما للناس كلهم وكل يعطيه بقدر حاجته فقط لا يعطيه للتجارة وهكذا اذا كان من المصلحة العامة الحفاظ على الاموال بيعها على الناس على قدر حاجتهم. ومنع من اراد الاستيثار بالشيء - 00:01:10

ليحتكره على الناس منعه من ذلك فهذا من السياسة الشرعية. التي ينبغي عند الحاجة الى ذلك ان يقدر ما يباع على كل فرد ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير. سهل ميسور - 00:01:50

لا مشقة فيه. هذا الوالي الذي ولاه الله على مصر. يعطي الناس بطيب خاطر وبثمن معقول ونحن بصفة خاصة رد علينا الثمن فلا يليق بنا ان نتوقف ولا نذهب اليه. ونزدادك الى بعير ذلك كيل يسير - 00:02:20

قال الاب يعقوب على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام. لن ارسله معكم حتى لا تؤتوني موسقا من الله. لن ارسل معكم اخاكم. شقيق يوسف الا ان اعطيتموني العهد والميثاق بان لا تخونوا - 00:02:50

وان تحافظوا عليه. ولا اعذركم نحوه الا في حالة واحدة. ان احيط بكم كلكم عن اخركم واما ما دام بقي منكم باق فلا اعذركم نحو اخيكم قال لن ارسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتونني به. الا - 00:03:20

ان يحاط بكم تردوه الي الا في حالة واحدة اذا احيط بكم والاحاطة بمعنى العموم يعني عمكم البلاء جميعا فلما اتوه موسقهم قال الله على ما نقول وكيل. اعطوه العهد والميثاق فقال الله جل وعلا - 00:04:00

الوكيل على ذلك فوض امره الى الله وهكذا ينبغي للمؤمن ان يأخذ بالاحتياطات ويتكل على الله جل وعلا. لا يكتفي بهذه العهود مواثيق او الكتابة او الالتزام وانما يأخذ خذ بكل ما يمكن ان يحتاط به ومع ذلك يعتمد على الله - 00:04:30

فهو مأمور باخذ بالاخذ بالاسباب مع الاعتماد على الله جل وعلا فالاعتماد على الاسباب وحدها نقص في توحيد المرء. والاعتماد على الله بدون الاخذ بالاسباب هذا تقصير. وقد يكون جهل. هل يجوز - 00:05:10

المرء ان يقول انا لا اتزوج ان كان الله قد قسم لي ولدا فسيأتيني وانا في بيتي او يخرجه الله من ظهري؟ لا نقول هذا جهل. او يقول انا لا اتخذ - 00:05:40

وظيفة ولا عمل. ورزقي يسوقه الله الي. نقول كما قال عمر رضي الله عنه ان السماع لا تمطر ذهبا ولا فضة. طيب الرجل تزوج هل يلزم ان يأتيه الولد؟ بالاخذ بالسبب. يأتي الولد؟ لا. كم من الرجال - 00:06:00

تزوجوا ما جا لهم اولاد فعلوا الاسباب ما افادت الاسباب وحدها ما نفعت فعلى المؤمن ان يأخذ بالاسباب ويتكئ على الله جل وعلا في ان يكون السبب موصلا لما اردت. وكما قال عليه الصلاة والسلام لو انكم - 00:06:30

اكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير. كما يرزق الطير يحتاج الى توكل واعتماد على الله. يرزق الطير. هل تبقى في

اوكارها؟ الطير ويأتيها الرزق في اوكارها لا. تغدو خماصا وتروح بطانا - 00:07:00
تغدو بمعنى تأخذ بالاسباب. تذهب تبقى في جحرها وفي عشها له. لكن اذا ما اراد الله شيئا لو ركض المرء ليل نهار ما حصل شيء. اذا ما اراد الله له. يعمل بعض الرجال عملا - 00:07:30
بسيطا ويكون رزقه موسع فيه. واخر يعمل ليل نهار ورزقه ضيق. لان هذا كله وهو بارادة الله جل وعلا. فحديث الرسول يأمر بفعل الاسباب مع الاتكال على الله. والرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم عن راحلته قال - 00:08:00
ساعقلها يا رسول الله او اتكل؟ ماذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم؟ اتركها واتكل على الله. لا تضيع. قال لا اعقلها واتكل. خذ بالاسباب واتكل على الله. وهذا نبي - 00:08:30
الله يعقوب عليه الصلاة والسلام يقول فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل. اتكالي على الله جل وعلا في ان ترجعوا باخيكم ان شاء الله اه والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:08:50
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وقال يا بني هي لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة. وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله. عليه توكلت وعليه فليتوكل - 00:09:20
متوكلون. ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون. هذه الايات - 00:09:50
كريمة في سياق قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك انهم لما رجعوا من يوسف رجع اخوته منه في المرة الاولى طلب من منهم ان يأتوه باخيه الشقيق بنيامين باخيهم من ابيهم - 00:10:20
وهم لم يعرفوا بانه يوسف اسمعوا اباهم لانه لا بد ان يذهبوا باخيهم معهم في الرحلة القادمة وان لم يذهبوا به فقد توعدهم ملك مصر بانه لن يعطيهم من الميرة شيئا - 00:11:00
فاقتنع ابوهم يعقوب على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ووافق على ان يذهب معهم اخوهم. فذهبوا احد عشر العشرة الاشقاء وبنيامين شقيق يوسف وفي هذه المرة خاف عليهم والدهم العين بان - 00:11:30
تصابوا بعين لانهم كانوا ذوي هيئة وجمال في المظهر فخشي ان رؤوا جميعا وعرفوا انهم ابناء رجل واحد ان يصابوا بالعين. فوصاهم بهذه الوصية التي عبر الله جل وعلا عنها بقوله تعالى وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد - 00:12:10
اذا وصلتم الى مصر فلا تدخلوا من باب واحد. وادخلوا من ابواب متفرقة اكد رغبته في ان تكون الابواب التي يدخلون منها عديدة ولا يدخل من باب واحد او من بابين قال وادخلوا من ابواب متفرقة - 00:12:50
وبين لهم عليه الصلاة والسلام ان كل ما اراده الله جل وعلا كائن وان الانسان بحرصه لا يرد من قدر الله شيئا. ولكنه اراد ان يوصيه بهذه الوصية ويأخذ بالاسباب التي هي الحذر من ان يصابوا - 00:13:20
في عين واتكل على الله جل وعلا في سلامتهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة يعني متعددة. وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله. هذه وصية اوصيكم بها ووصيتي - 00:13:50
لا تغني عنكم من شيء ان اراد الله جل وعلا غير ذلك وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله. هاي واحدة وكلمة ان وان بمعنى ما والا هذه - 00:14:20
حصر اي الحكم لله جل وعلا وحده لا شريك له في حكمه هو المتصرف في الكون كيفما شاء واراد جل وعلا. فهي وصية منه لهم بالحذر واخبار بان حذرهم لن ينجيهم من قدر الله - 00:14:50
ان الحكم الا لله عليه توكلت. اي انا متوكل والله جل وعلا وتقديم الحصر وتقديم الجار والمجرور يفيد الحصر. قال عليه توكلت ولم يقل توكلت عليه. وكلمت عليه توكلت ابلغ. عليه توكلت - 00:15:20
وعليه فليتوكل المتوكلون. يعني هو الذي يستحق ان يتوكل عليه جل وعلا ومن توكل على الله كفاه. ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم سمعوا واطاعوا لوصية ابيهم فدخلوا من حيث امرهم - 00:15:50

يعني دخلوا من ابواب متفرقة ولم يدخلوا من باب واحد ولا من بابين. وانما تفرقوا في الدخول من ابواب مصر. ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من - 00:16:20

والله شيء من شيء. ما كان يغني عنهم من الله من شيء. هم اطاعوا ابوهم ووصيته وهذه لا تغني عنهم شيئا اراده الله جل وعلا. تأكيد لما سبق لا حاجة في نفس يعقوب قضاها. من حرصه عليه الصلاة والسلام على بنيه - 00:16:40

وصاهم بهذه الوصية احب ان يبديها لهم وهي في نفسه واظهرها لهم ليأخذوا بها وهو موقن بانها لا ترد من قدر الله شيئا اين حق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم العين حق ولكن العين - 00:17:10

لا تؤثر بذاتها وانما بارادة الله جل وعلا. وقد اصيب بعض الصحابة بالعين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم واخبر عليه الصلاة والسلام بان العين حق. وورد انها لتورث الجمل القدر. والرجل القبر - 00:17:40

يعني قد توصل الى الهلاك وقد توصل الى العيب كسر يد او رجل او ضرر في عين او في سمع او في عقل او فيما اراده الله جل وعلا. فالعين بحد ذاتها لا تؤثر. وانما - 00:18:10

هي تكون سبب لما اراده الله جل وعلا. وانه علم لما علمناه. وانه لذو علم لما علمناه. ثناء على يعقوب عليه الصلاة والسلام بانه صاحب علم وهو نبي عليه الصلاة والسلام - 00:18:40

يوحي الله اليه بما شاء. وانه لذو علم. يعني لصاحب علم لما علمناه يعني علمه ليس بالفراسة. واكتسبه من الاداميين وانما هو لما الله جل وعلا. فكل العلم مستمد من الله جل وعلا. وانه لذو علم - 00:19:10

ما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون. الكثير من الناس لا يعلمون والكثير من الناس يجهلون الحق والصواب. والقليل من وفقه الله جل وعلا هو الذي يعلم ويدرك وفي ختام هذه الاية كختام ايات كثيرة من القرآن دليل على ان الاكثرية على - 00:19:40

وان القلة على الحق وانه لا ينبغي للمرء ان يغتر بالكثرة ويقول كل الناس على هذه الطريقة لان الاكثر غالبا على الضلال والقلة على الحق. كما قال الله جل وعلا وان - 00:20:20

قطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله. وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين. ولكن اكثر الناس يعلمون فلا تبتعس بما كانوا يعملون بما يحصل ولعله ولعل بنيامين طلب من يوسف ان يبقيه عنده - 00:20:40

فقال له انه لا يستطيع ان يبقيه عنده الا بحيلة. وبعمل قد يسيء في الظاهر الى بنيامين بان ينسب اليه امر من الامور. فكان بنيامين قال له اعمل ما تراه وانا اصبر على ذلك في سبيل انني ابقى معك - 00:21:10

فلما رأى منه الرغبة في البقاء عنده واظهر له بانه لن يتأثر ما يتخذ نحو ذلك وسيصبر دله الله جل وعلا دل يوسف على الطريقة والحيلة التي يستطيع بها ان يأخذ اخاه عنده بدون تسلط وجبروت - 00:21:40

بدون ان يأخذه بالقوة وانما يأخذه باقرار من اخوانه واعتراف قال الله جل وعلا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه. ثم اذن مؤذن ان ايتها العير انكم لسارقون. قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون - 00:22:10

قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم ارشد الله جل وعلا يوسف عليه السلام على الحيلة التي يستبقي بها اخاه عنده. فلما سهلهم بجهازهم يعني اعطاهم ما يريدون وكمل لهم وانصرفوا - 00:22:50

قبل ان ينصرفوا وظع يوسف عليه الصلاة والسلام السقاية في الحمل المختص باخيه الشقيق بنيامين وهذه السقاية قيل هي ما يستقى يشرب به الماء ويكال به الطعام وهو من ذهب مرصع بالياقوت - 00:23:30

لا قيمة شيء مثمن او هو ما يكال به الطعام وضعه يوسف عليه السلام بنفسه في الحمل باخيه بنيامين. وتركهم يخرجون. فلما ذهبوا ومضوا الى مكان غير بعيد اذن مؤذن المؤذن - 00:24:10

هو من ينادي باعلى صوته. من المؤذن من ينادي باعلى صوته ينادي لامر ما فاذن مؤذن يعني نادى مناد باعلى صوته قائلا ايتها العير انكم لسارقون. وهذا المؤذن غير يوسف عليه السلام - 00:24:50

يوسف الذي وضع السقاية والمؤذن غيره لما التفتوا ما وجدوا الصراع نادى المنادي باعلى صوته ايها ايها العير الابل المحملة مع

اصحابها انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا من الذي قال ذلك؟ اخوة يوسف وهم منصرفون. لكن لما سمعوا النداء - 00:25:20

فهذا اظهار للبراءة. اذا ناديت شخصا وهرب او اسرع بالمشي فهذا فيه مجال للتهمة والاتهام لكن اذا ناديته فاقبل اليك مقبلا هذا فيه اظهار للبراءة. انه كان عندنا شيء ولو كنا اخذنا شيئا ما اقبلنا وانما - 00:26:00

هربنا قالوا واقبلوا عليهم يعني اتجهوا الى المنادي راجعين اليه. ما لا تفقدون ما قالوا ماذا سرقنا لانهم ما استساغوا ان ينسبوا السرقة الى انفسهم قالوا ما لا تفقدون ما الذي ضاع لكم؟ هذا الشيء الذي فقدتموه - 00:26:40

فقد من بين ايديكم ولم نسرقه. قالوا اقبلوا عليهم ماذا تفقدون؟ قالوا نفقد صواع الملك. صواع الملك الذي عبر عنه في الاية الاولى بالسقاية. ومن قال بعض العلماء انه الذي يستقى به يعني يشرب به الماء ويكال به الطعام - 00:27:10

لانه ذكره في الاية الاولى سقاية. وذكره في الاية الثانية صواع قالوا نفقد صواع الملك. ولمن جاء به حمل بعير وعان به زعيم. الذي فقدناه صوع الملك. وقبل ان نفتشكم - 00:27:50

ونبحث عنه نجعل لمن جاء به حمل بعير ويقول المنادي او غيره وانا بذلك زعيم بمعنى كفيل. فهذا فيه الجعالة تقول من رد لي بعيري الهارب فله كذا وكذا دراهم هذي تسمى جعالة من رد البعير استحق هذا المبلغ - 00:28:20

الذي ذكرته وربما الجاهل لا يطمئن الى جهالته فيلزم ان يوجد معه كفيل يكفل بتسليم هذه الجعالة التي جعلت لمن من عمل عملا ما ولمن جاء به حمل بعير. من اعطانا اياه - 00:29:00

ورده الينا قبل التفتيش وقبل البحث عنه سنعطيه مقابل ذلك حمل بعير من يقول وانا به زعيم اي كفيل له بهذا لانه سيستلمه وافيا غير منقوص. ماذا قال اخوة يوسف - 00:29:30

لما اتهموا بالسرقة وجعل لهم مرغب يرغبهم في رده وتسليمه للمنادي بدون تفتيش قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض. ليست هذه لاول مرة تعرفوننا عرفتمونا من قبل وعرفتم حسن معاملتنا. وعرفت - 00:30:00

صدقنا وحينما رددتم علينا بظاعتنا رجعنا من بلادنا لاعادتها فنعيد لكم الشيء من مكان بعيد ونسرق بين ايديكم قالوا تالله لقد علمتم وهذا ابلغ ما قالوا تالله قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا - 00:30:40

افسد في الارض تعلمون انا وتعرفوننا اننا لم نجئ لنفسد في الارض والسرقة فساد في الارض. والمعصية فساد في الارض كما قالت الملائكة عليهم الصلاة والسلام لربهم جل وعلا لما قال اني - 00:31:20

خير في الارض خليفة. قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟ ونحن نسبح بحمدك نقدس لك قال الله جل وعلا اني اعلم ما لا تعلمون اي معصية تقع في الارض فهي فساد فيها. لان الارض خلقها الله جل - 00:31:50

جل وعلا للعبادة ليعبد عليها لا ليعصى قالوا تالله وتالله هذه من حروف القسم لكنها في الغالب لا تدخل الا على لفظ تالله فهي حرف من حروف القسم مثل قولك والله وبالله - 00:32:20

وتالله ما جئنا لنفسد في الارض ثم اكدوا رد ما اتهموا به فقالوا وما كنا سارقين ما جئنا من اجل الفساد ولم نسرق شيئا. وما كنا سارقين وسارقين اسم كان او خبرها بل خبرها واسمها - 00:32:50

الضمير فيكن اه وما كنا سارقين. قالوا من الذي قال ذلك المنادي ومن معه قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ما جزاء السارق؟ ان كنتم كاذبين ووجدت السرقة معكم. وهذه - 00:33:30

الحيلة التي الهم الله جل وعلا يوسف عليه السلام ليحتال لاخذ اخيه عنده. قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه. اي شخص منا تجدون - 00:34:00

عنده فخذوه. استرقوه. هو رقيق لكم. وهذا في شريعة يعقوب عليه السلام. السارق يسترد المسروق منه. واما السارق في دين الملك ملك مصر. فكان الظرب ويغرم قيمة المسروق مرتين. يضاعف عليه تضاعف عليه قيمة المسروق. اذا سرق ما قيمته مئة - 00:34:30

الزم بدفع مئتين وضرب. واما في شريعة يعقوب عليه السلام فمن سرق اخذ وجعل رقيقا للمسروق منه ولهذا قال المنادي لاخوة

يوسف فما جزاؤه ماذا يكون جزاء من سرق منكم صواع الملك؟ قالوا من وجد في رحله فهو جزاء - 00:35:20
هو نفسه. يؤخذ ويسترق. مقابل سرقته قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين. السارق ظالم لانه ظلم صاحب المسروق مالك المسروق ظلم باخذ ماله والنبي والله جل وعلا حرم اموال بعضنا على بعض - 00:36:00
الا بطريق مشروع. كالهبة والصدقة. او الشراء بالثمن كذلك نجزي الظالمين. اي من ظلم فسرق ففي شريعتنا انه يكون رقيقا للمسروق منه. الان ما رد الصواع؟ ونفوا ان يكون معهم واكدوا ذلك - 00:36:40
واعترفوا وقرروا ما يلزم للسارق بان يسترق وطلب منهم ان يردوه ان كان معهم مقابل حمل بعير فهم جزمهم وظنهم بانهم لم يسرقوا ما فتشوا في اوعيتهم ولا نظروا فيها - 00:37:20
بقي الان موضوع التفتيش لهذه الاحمال فعند من يطلع اصوع قال الله جل وعلا فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه فتشهم واحدا واحدا وجعل اخاه اخرهم فاستخرجها من وعاء اخيه. ولو فتش اخاه اولا ووجدها فيه - 00:37:50
لربما قيل ان المفتش عالم هو الذي وضع هذا الشيء في هذا المكان. او ربما انه اخفاه بيديه ووضعه فيه ثم اخرجه وقال وجدته هنا. فبدأ يفتشهم واحدا واحدا حتى استكمل العشرة كلهم - 00:38:30
ثم فتش وعاء بنيامين فخرج الصواع منها. ثم استخرجها من وعاء يا اخي يقول الله كذلك كدنا ليوسف. ما كان اخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله. هذه المكيدة الله - 00:38:50
جل وعلا ارشد يوسف عليه السلام اليها. فلا يليق عاقل ان يقول اخطأ يوسف في هذا الفعل او لما فعل ذلك؟ هذا كله بايحاء من الله جل وعلا وبتدبير. لحكمة يريدها الله جل وعلا. كذلك كدنا - 00:39:20
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك. لو رجعوا الى شريعتهم في بلدهم النسر ما كان جزاء السارقة ان يؤخذ ولكنه استقر اخوانه اولا بان يؤاخذهم بما في شريعتهم هم. فلما - 00:39:50
اقروا واعترفوا بان السارق يؤخذ برمته بحث عن المسروق فوجده في في اخيهم استخرج هذا حينئذ استحق ان يأخذ اخاه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله. كل هذا بمشيئة الله جل وعلا وارادته - 00:40:20
فاخذه بهذا الحكم. يقول الله جل وعلا نرفع درجات من نشاء فمن شاء الله جل وعلا رفعته رفعه ومن شاء جل وعلا خذلانه خذله فلا رافع لما خذل الله الله جل وعلا ولا خاذل لمن رفعه الله جل وعلا. والله جل وعلا يرفع الذين امنوا بالعلم - 00:40:50
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات. نرفع درجات من النشاع وفوق كل ذي علم عليم. كل صاحب علم من الاداميين فوقه من هو اعلم منه حتى ينتهي العلم الكامل الى الله جل وعلا - 00:41:20
فوق كل ذي علم عليم. لا يمكن ان يكون المخلوق احاط بالعلم كاملا. وانما احاط بشيء وغيره احاط باكثر منه وغيره احاط باكثر منه وهكذا ولا يمكن ان يحيط مخلوق بالعلم الكامل - 00:41:50
وانما الذي احاط به كاملا هو الله جل وعلا. والله اعلم. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد. وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:42:10